ملامح التفسير البياني عند الشيخ ابن باديس

Features of the graphic interpretion of Sheikh Ibn Badis

برابح نسيبة[1]
مخبر الدراسات الإسلامية واللغوية
جامعة عمار ثليجي الأغواط
berrabeh.noussaiba@gmail.com
أ.د مصطفى شريقن
مخبر الدراسات الإسلامية واللغوية
جامعة عمار ثليجي الأغواط
cheriguene.mustapha@yahoo.com

تاريخ الوصول 2020/02/01 القبول 2020/10/22 النشر على الخط 2021/03/15
Received 01/02/2020 Accepted 22/10/2020.Published online 15/03/2021

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تجلية المنهج البياني عند العلامة ابن باديس؛ أحد قامات العلم في الجزائر في العصر الحديث، وإبراز جهوده في تأصيل ملمحية التفسير البياني وإعجاز القرآن الكريم، وتكمن أهمية الدراسة في اكتشاف جانب مهم يتعلق بتفسير العلامة قد أغفل دراسته من قبل، فالكثير لا يخفى عليهم دروس مجالس التذكير ومنهج الشيخ فيه، لكن الجانب البياني لم يحظ بدراسة خاصة، فجاءت هذه الدراسة لتبرز تطبيق العلامة لمنهج تفسيري قائم بذاته، قد شاع في مصر، وظهرت نواته على يد الشيخ محمد عبده، وتبلور منهجه على يد أمين الخولي، وظهر على قدم وساق على يد بنت الشاطئ – عائشة عبد الرحمن– وكذلك وجدت ملامحه في تفسير مجالس التذكير، كما توصلت الدراسة إلى تمييز مصطلح التفسير البياني من التداخل الحاصل بينه وبين مختلف أنواع التفاسير القرآنية المشابهة له، كالتفسير الأدبي واللغوي والبلاغي.

الكلمات المفتاحية: التفسير – البيان– اللغة– الأدب – البلاغة.

Abstract:

The aim of this study is to illustrate the graphical approach of the sign Ibn – Badis. one of the pillars of science in Algeria during the modern era to highlight his efforts in rooting the graphic interpretation and the miracle of the holy quran . the Important aspect of the interpretation of the mark has been overlooked before , many do not hide the lessons of the boards of reminders and the approach of the mark in it , but the graphic aspect did not come to highlight the application of the mark to a self-explanatory approach , has become popular in Egypt and its nucleus was minted by sheikh Mohammad Abdo and Crystallized his method by Amine Kholi, he was in full swing by Aysha Abdulrahman and also found its features in the interpretation of the boards of reminders. The study also found that term" interaction "is differentiated from the interaction between it and the various similar interpretation of the quran, likeliterary,linguistic, and rhetorical interpretation.

Key words: - interpretation -Statemen - the language-Literature - Rhetorict

[1] – المؤلّف المرسل: برابح نسيبة البريد الإلكتروني:berrabeh.noussaiba@gmail.com

1. مقدمة:

لقد تعددت المناهج التفسيرية تبعا لتعدد الاتجاهات التي ولدتها ثقافة كل مفسّر، وتبحره في بعض العلوم، ولعل أبرز المناهج ظهورا منذ القدم، المنهج البياني الذي انطلق من فكرة البلاغة ومباحثها وانتهى إليها. وهو فرع ضمن المدرسة اللغوية، فقد تعلّق إعجاز هذا القرآن باللغة، والقرآن تحداهم وهم أهل البيان، فقد نزل على قوم بلغاء يرسلون الخطب البارعة وينظمون القصائد الرائعة، وعرف القوم على جانب الفصاحة حب الجدل، فلم تسعفهم قدراتهم البيانية على الإتيان ولو بسورة من مثله أو آية منه، مع طول زمن التحدي ولجاج القوم في التعدي.

ثم إنّ مصطلح البيان قد عرف تطورا كبيرا في تراثنا، فقد كان يطلق على علم البلاغة بصفة عامة، ويطلق على الأسلوب التعبيري، ثم تمايزت العلوم على يد السكاكي في القرن الثامن، فأصبح قسما من أقسام البلاغة، مقتصرا على أغراض معدودة؛ تتمثل في الكناية والاستعارة والمجاز، واستعان المفسرون على هذا العلم في فهم كلام الله عزّ وجل، وأصبحت التفاسير سفرا ومصدرا هاما لهذا العلم الجليل، لكن اختلفت الفهوم حول هذا المصطلح واختلطت الأفكار وكثرت الاتجاهات وتعددت المناهج، فباحث يطلق عليه تفسير أدبي والآخر لغوي وغيره بلاغي وغيرهما بياني.

وعلى هذا الأساس نطرح الإشكاليات التالية: ما هو التفسير البياني؟ وما الفرق بينه وبين أنواع التفاسير المشابهة له؟ وما هي جهود العلامة ابن باديس في مقاربة النص القرآني؟ وإلى أي مدى وفّق في تطبيق المنهج البياني في مجالس التذكير؟ وهل كان هو صاحب المنهج البياني ثم تأثر به أمين الخولي لاحقا أم لا ؟ فمن له أسبقية اكتشافه ؟ ومن هو صاحب المنهج الحقيقي؟ وهل هناك حقيقة غامضة ما زالت غائبة عنا؟ أم هو توارد أفكار واتفاق منهج يعود سببه لأصل المنبع؟

وكان الدافع من خلال هذا الطرح هو شغفنا بالدراسات اللغوية المتعلّقة بالقرآن، ونهدف من خلاله إلى فهم جهود علمائنا الأفذاذ واستثمارها، ولنشيد بعمل عَلم من أعلامنا الأجلاء، قد أغفل الباحثون دراسة هذا الجانب من تفسيره، فأردنا أن نسلّط الأضواء عليه؛ ونثمّن جهوده في هذا المجال، فيحتمل أن يكون صاحب المنهج الحقيقي،ثم تأثر به أصحاب هذا المنهج في مصر. كما أنّ الدراسات في هذا الجانب ما زالت لم تلق عناية كبيرة وخاصة أنّها تتعلّق بإعجاز القرآن الذي لا تنقضي عجائبه، ومهما اجتهدنا في سبر أغواره والكشف عن أسراره، سيبقى أمد الدهر معينا لا ينضب، معطاءً لا ينصب، مهما غاص الباحثون فيه، فلن يستطيعوا حصر كنوزه أو إحصاء لآلئه.

واعتمدنا في تحقيق تلك الأهداف؛ على المنهج الوصفي التحليلي لمختلف القضايا التي تتعلّق بموضوع بحثنا، من خلال إثارة أسئلة والإجابة عنها بتوجيهات ما وسعنا ذلك، كما اعتمدنا على استقراء لفظة البيان من عدّة مواضع، لفهم قصد بنت الشاطئ من التفسير البياني، مستعينين بكتبها في هذا المجال، واستقراء كلام العلامة ابن باديس في مجالس التذكير، لتأكيد وجود ملامح هذا التفسير عنده، قبل أن يظهر على يد أرباب التفسير البياني في العصر الحديث.

2. ملامح التفسير البياني عند الشيخ ابن باديس:

1.2 التفسير البياني بين سائر التفاسير:

يرتبط في أذهاننا جميعا بمجرد ذكر كلمة التفسير البياني، اسم بنت الشاطئ – عائشة عبد الرحمن- ومع أنّها ليست صاحبة المنهج التفسيري ولا مؤسسته، ولا هي من حدّدت معالمه، وبلورت ملامحه، ورسمت خطواته، لكنّها أذكت شعلته، والتصق بها؛ كونها أوّل من أطلقه على هذا الاتجاه من التفسير، رغم أنّ مؤسسه الأستاذ أمين الخولي قد أطلق على منهجه مصطلح التفسير الأدبي.

كما وقد ينصرف إلى أذهاننا جميعا، أنّه تفسير يُعنى بعلم البيان؛ الذي هو قسم من أقسام البلاغة، ولا مندوحة في ذلك؛ فقد أجمع أرباب البلاغة على إطلاق هذا المدلول على مصطلح البيان، من لدن السكاكي إلى يومنا الحالي.

لكن عندما نطالع كتابها نصطدم بعدم اقتصارها على هذا الفن من البلاغة، فتراودنا هواجس نحو هذا الاتجاه التفسيري، وتحوم حولنا هواجس علمية تجعلنا في ريب من أمرنا، من هنا كان لزاما علينا أن نفقه دلالة مصطلح التفسير البياني، وماذا تعني به بنت الشاطئ؟ وما هو الفرق بين التفسير البياني و مختلف التفسيرات المشابهة له؟

تعرّفه بنت الشاطئ بقولها:" هو التناول الموضوعي الذي يفرغ لدراسة الموضوع الواحد فيه، فيجمع كل ما في القرآن منه، ويهتدي بمألوف استعماله للألفاظ والأساليب، بعد تحديد الدلالة اللغوية لكل ذاك...وهو منهج يختلف تماما والطريقة المعروفة في تفسير القرآن سورة سورة، ويؤخذ اللفظ أو الآية فيه، مقتطعا من سياقه العام في القرآن كله، مما لا سبيل معه إلى الاهتداء إلى الدلالة القرآنية لألفاظه، أو لمح ظواهره الأسلوبية وخصائصه البيانية "[1].

والحقيقة أنّ بنت الشاطئ ما ذهبت في مصطلح البيان مذهب السكاكي؛ حينما قصره على علم محدد، وما سلكت فيه مسلك الجاحظ عندما عني به الإفهام والإيضاح، فبعد استقراءنا وتتبعنا لورود مصطلح البيان في كتابيها

(التفسير البياني للقرآن الكريم) و(الإعجاز البياني للقرآن الكريم ومسائل ابن الأزرق)، تبيّن لنا أنّها تقصد به جمالية الأسلوب وفنّ التعبير، حيث اعتمدت في الاستدلال على ذلك بعلم البلاغة والنحو والصرف، وهي بهذا تجسّد منهج أستاذها الخولي، حينما صرّح بأن القرآن كتاب العربية الأكبر وأدبها الشامخ، فلا يتأتى فهمه إلا من خلال أدبيته التي تكمن في أسلوبه الرائق وتعبيره الفني الماتع، جاعلا خطوات لذلك ارتكزت على عدّة أمور؛كان من بينها نظرة خاصة وإحاطة شاملة للمفردة القرآنية، ولقد استلهمت بنت الشاطئ فكرة إعجاز المفردة القرآنية، وربطتها بالإعجاز البلاغي عند القدامى، شارحة موقفهم لهذا الوجه من الإعجاز بما قاله الخطابي :"واعلم أن القرآن إنما صار معجزا لأنه جاء بأفصح الألفاظ؛ في أحسن نظوم التأليف، مضمنا أحسن المعاني"[2].

وإن كان التفسير اللغوي يهتم فيه بدلالة المصطلح، وهو أول التفاسير ظهورا ونشأة، فقد تبلور على يد حبر الأمة – رضي الله عنه-، والتفسير البلاغي يركّز فيه على أغراض البلاغة لتجلية المعاني فضلا على أنّه يبرز جماليات النص القرآني، والتفسير الأدبي يرتكز على الأسلوب وقدرته على امتلاك وجدان المخاطب، فإن التفسير البياني في العصر الحديث استطاع رواده أن يجمعوا فيه كل

1-عائشة عبد الرحمن: **التفسير البياني للقرآن الكريم**، القاهرة- مصر، دار المعارف، ط6، ج1، ص 17- 18.

2-الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن**، تح: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، مصر، دارالمعارف- ص28.

أنواع التفاسير السابقة، واعتبروه الكاشف عن سر إعجاز هذا الكتاب الخالد، تتجلى مظاهره في الحرف والكلمة والجملة القرآنية، وقد عرَّفه الدكتور فاضل السامرائي، بقوله:"هو التفسير الذي يبيِّن أسرار التركيب في التعبير القرآني، فهو جزء من التفسير العام، تنصب فيه العناية على بيان أسرار التعبير من الناحية الفنية، كالتقديم والتأخير والذكر والحذف واختيار لفظة على أخرى، وما إلى ذلك ممّا يتعلق بأحوال التعبير"[1].

مما سبق يمكننا القول أن التفسير البياني بكل اختصار؛ هو التعامل مع النص القرآني، برؤية خاصة تركِّز على إبراز جوانبه البيانية وتكشف عن دُررِهِ البلاغية، من خلال دراسة أسلوبه ونظمه الساحر، وتعبيره الفني الباهر.

2.2 ابن باديس وجهوده في مجال التفسير:

بدأ الإمام تفسيره في ربيع 1332هـ/1914م،بعد عودته من مصر سنة 1913م، في رحلة طويلة امتدت إلى الحجاز ومنه إلى الشام ومصر، لأداء فريضة الحج وزيارة بعض العواصم للاتصال بعلمائها والاطلاع على أعمالهم، وختمه في صيف 1357هـ/1938م[2]، وما كتب منه إلا القليل في افتتاحية مجلة الشهاب، وقد استمر نحو 25 سنة يفسّر القرآن الكريم بمسجد سيدي لخضر بعد صلاة العشاء للطلاب ولعامة النّاس، حيث كانت قاعة صلاة المسجد تكتظ بالمستمعين وتمتلئ بالمريدين الجزائريين أثناء درس التفسير. بقيت هذه المقالات مبعثرة في صفحات مجلة الشهاب حتى نهض بعض تلاميذه بجمعها وعلى رأس هؤلاء أحمد بوشمال، الذي كان سباقا لهذه المهمة واعتنى به اعتناءً فائقا، ونشر جزءًا من تفسيره سنة 1948م، وطبعه بالمطبعة الإسلامية الجزائرية، التي تكفلت بطبع أعمال ابن باديس من جرائد ومجلات، وأعيد نشر هذا التفسير وأضيفت إليه زيادات مهمة من طرف تلميذه محمد الصالح رمضان وصديقه توفيق محمد شاهين المصري سنة 1964م، ثم طبعت هذه النسخة مرة أخرى سنة 1971م، بعد أن أضيفت إليها شروحات وتعاليق عن نشأة وحياة الإمام وآراء بعض الباحثين فيه، حتى بلغ حجمها وصفحاتها نحو 700 صفحة [3].

إنّ طريقة العلامة في التفسير طريقة خاصة وفلسفة إصلاحية هامة، استمدها من طريقة محمد عبده متأثرا به أيما تأثر، وحينما نجزم بتأثره في أسلوب التفسير البياني، فهذا ليس نابعا من كوننا ألفينا لمحات بيانية ولمحات أسلوبية متناثرة بين طيات تفسير مجالس التذكير، وإنّما لنا أدلتنا التي تؤكد لنا وجهة النظر السابقة الذكر، فهذا العلاّمة البشير الإبراهيمي صاحبه ورفيق دربه، يشهد بسلوك الإمام مسلك المدرسة البيانية التي ظهرت بذور نشأتها في العصر الحديث على يد الإمام محمد عبده – رحمه الله–، ففي معرض تلخيصه تفسير المعوذتين، يكشف الإبراهيمي – رحمه الله– مدى تعلق رفيقه بتفسير المنار، ويشيد بجهود الإمام عبده في مصر في النهوض بحركة الإصلاح التجديدية، وبأن حركة الإصلاح العلمي امتدت بعد موته، وانتشرت في الأقطار الإسلامية، وأسفرت عن إصلاح حقيقي لأساليب التعليم في المعاهد الحرة، وعن إصلاح صوري في المعاهد الرسمية، وستظل الحرب قائمة من وجهة نظره في

1–فاضل السامرائي:**على طريق التفسير البياني**، النشر العلمي، جامعة الشارقة،1423هـ/2002م، 1ج، ص7.

2– ينظر: **آثار الإمام عبد الحميد بن باديس**، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، وزارة المجاهدين، الجزائر، ط1، 2005 م، مج 1، ص 480 والزبير رحال: **الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية**، عين مليلة – الجزائر، دار الهدى، ط1، 2009 م، ص 23.

3– عبد العزيز فيلالي: **التفسير عند الإمام عبد الحميد بن باديس واحتفال الأمة به**، دار الهدى ،عين مليلة – الجزائر ، ط1، 2017م، ص 74.

هذه المعاهد بين طلاب الإصلاح وبين أنصار الجمود، يقول الإبراهيمي مقررا دور ابن باديس في الإصلاح من خلال التفسير، وبأن فكره امتدادا لتلك المدرسة التي نشأت في مصر :" ولقد كان من حسن حظ الجزائر، أنّ باعث النهضة العلمية فيها، الأستاذ الشيخ عبد الحميد ابن باديس، قد وضع أساس هذه النهضة على قواعد صحيحة من أول يوم، فسلك في درس كلام الله أسلوبا سلفي النزعة والمادة، عصري الأسلوب والمرمى"[1].

وبالرغم من كون تفسير العلامة يعدّ من قبيل التفسير بالمأثور انطلاقا وجوهرا، لكننا نلمح فيه التفسير بالرأي المحمود غاية ومنتهى، فقد جمع بين التقليد الإيجابي والتجديد السليم، فالاقتداء بطريقة السلف المفسرين، لم يمنعه من معارضتهم، ولم يحجمه عن ردّ أقوالهم، حينما لا يستسيغ تفسيرهم، فما أعجبه اعترف به وأقرّه، وما لم يطمئن إليه تركه وأعرض عنه وأنكره، وربما يصرّح بنقده له، وتظهر النزعة الاستقلالية جلية في كلامه، ففي معرض تفسيره لآية:"**وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون**"[الشعراء: 129]،أثبت أنّ للعرب حضارة من خلال معارضته لتفسير الأولين، الذين قالوا بأنّها مجاري للمياه أو قصور، وكلا القولين من وجهة نظره دليل على معرفتهم بفن التعمير علما وعملا، وبلوغهم فيه مبلغا عظيما، واعتبر ذلك من أكبر الشواهد التي تكشف نواحي من تاريخ هذه الأمة العربية ومبلغ مدنيتها وتعميرها، وأنّهم كانوا بصراء بعلم تخطيط المدن والأبنية، فيقول في هذا الشأن: "ولكن ليت شعري ما الذي صرف المفسرين اللفظيين عن معنى (المصنع) اللفظي الاشتقاقي، والذي أفهمه ولا أعدل عنه هو أنّ المصانع جمع مصنع من الصنع كالمعامل جمع معمل من العمل، وأنّها مصانع حقيقة للأدوات التي تستلزمها الحضارة ويقتضيها القرآن، وهل كثير من أمة توصف بما وصفت فيه الآية أن يكون لها مصانع بمعناها العرفي عندنا "[2].

ثم نراه يجيب على تساؤلات قد تطرأ في ذهن السامع، إذ قد يقول قائل: إذا كانت المصانع ما فهمتم، فلماذا يقبّحها لهم وينكرها عليهم ؟

فيجيب العلامة على ذلك، بأنّه لم ينكرها عليهم لذاتها، وإنّما أنكر عليهم غاياتها وثمراتها، فالمصانع اليوم هي أدوات عذاب لا رحمة، ووسائل تدمير لا تعمير، فلم تحمد على عمومها وإن كانت دلائل حضارة ومدنية.

كما يظهر الحياد الإيجابي واضحا في تفسيره، فقد تجنّب الخوض في اختلافات المفسّرين، وأعرض عن تأويلاتهم المقحمة دون وجه صواب، فلقد كانت وصية شيخه بمثابة الإلهام الروحي له، فلقد ذكر العلاّمة ابن باديس – رحمه الله- بأنّه كان ضيّق الصدر من اختلافات المفسّرين فيما لا اختلاف فيه من القرآن، متبرّم من إدخال تأويلاتهم الجدلية واصطلاحاتهم المذهبية في كلام الله، فأجابه شيخه النخيلي – رحمه الله- فيما وجده في نفسه من القلق والاضطراب، ناصحا إيّاه بقوله: " اجعل ذهنك مصفاة لهذه الأساليب المعقدّة وهذه الأقوال المختلفة، وهذه الآراء المضطربة، يسقط الساقط ويبقى الصحيح وتستريح... فوالله لقد فتح عقدة الكلمة العليلة على ذهني آفاقا واسعة ولا عهد لي بها "[3].

1- ابن باديس، **مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير**، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، ط1، قسنطينة – الجزائر، 1402هـ/1982م، ص 399.

2- ابن باديس، **مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير**،مرجع سبق ذكره، ص 432.

3- ابن باديس، **البصائر**، س 1، ع: 16، 14 أفريل 1936، ص 1.

3.2 منهج الشيخ ابن باديس في تفسيره:

إنّ المطالع لتفسير العلاّمة ليلحظ من أول وهلة؛ أنّه سار على منهج دقيق وخطة تفسيرية محكمة، ولعلنا لا نبالغ إن قلنا أنّه كان رائدا في مجاله، حينما كان منظما في سيره، فجاء تفسيره مرتب الأفكار، سلس العبارة، قوي الاستدلال، بليغ الأسلوب، وسنحاول فيما يأتي أن نبيّن المنهجية التي اتبعها في تفسير الآيات المحكمات:

- يبدأ تفسيره للآية بتمهيد ملخص وتقديم موجز يجعل القارئ يتنفس جو النص القرآني، ويجول في رحاب قدسية الخطاب الرباني، متشوقا لمعرفة ما تعالجه الآية الكريمة.
- ذكر وجه المناسبة للآيات البيّنات، واستخراج الأسرار الخفية التي تتضمنها والروابط المتماثلة التي تربطها.
- اعتمد على التفسير الموضوعي، فكان كثيرا ما يتعرّض حين تفسيره للآية لنظائرها من القرآن الكريم، ويستعرض الآيات المشابهة للآية التي يود تفسيرها، وقد تأثرا بمنهج الشيخ محمد عبده – رحمه الله- ولعل المدرسة البيانية تبنت هذا المنهج فيما بعد، فقد أقام عليه الشيخ أمين الخولي صَرْحَ التفسير البياني.
- استند في تفسيره أولا على القرآن الكريم، إذ القرآن يفسّر بعضه بعضا، ثم ما صحّ من بيان النبي – صلى الله عليه وسلم- وما جاء به السلف من بعده، وهذا يدل على سلامة منهجه، فكثيرا ما كان يردّد عبارات "وما أكثر ما تجد في القرآن بيان القرآن" و "وما أحسن التفسير عندما تعضده الأحاديث الصحاح"[1].
- يتطرق لشرح المفردات من المعاجم اللغوية، كالصحاح للجوهري وغيره، ويستشهد بالأبيات الشعرية متبعا منهج التفسير اللغوي كأول خطوة لفهم المفردات القرآنية.
- الاستعانة في تحليل الآيات القرآنية، بعلم الاجتماع والعلوم الكونية والعمران، متخذا من تفسير الرازي وتفسير محمد عبده الأسوة الحسنة، مع تفرده بنظراته القويمة.
- تميّز منهجه التفسيري بالتوضيح العام للآيات، ثم يشرحها ويقدم نتيجة الاستدلال، وهذا يدل على منهج عقلي محض يحلّل القضايا بواسع أفق.
- تقديم الوعظ كلما اقتضى الأمر، ويظهر هذا من خلال عنوان (اهتداء واقتداء) وهذا يدل على أنّه يهتم بالتطبيق الفعلي وليس الدرس النظري فقط، كيف لا وهو من سئل مرّة عن عدم تدوينه لدروسه، فقال مقولة يسجد لها التاريخ إكبارا وإجلالا: "شغلنا بتأليف الرجال عن تأليف الكتب"[2].ومن وجهة نظره على كل مسلم أن يكون داعيا إلى الله سبحانه وتعالى وجعل ذلك من سبيل السعادة والنجاة.
- تلخيص الحكم المستنبطة من خلال الآيات المفسرة، حيث يذكر الأهداف المستفادة على شكل خلاصة أخيرة عند الانتهاء من كل تفسير.

1- ابن باديس، **مجالس التذكير**، مرجع سبق ذكره، ص 305-401.

2- المرجع نفسه، ص 75.

- أقرّ الشيخ الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، واعتمد في تفسيره لبعض الآيات على الدراسات العلمية، مما يدل على سعة أفقه وتوسع مداركه وتنوع معارفه.
- بيّن الشيخ مصادره في تفسيره، وهذا يدل على أنّه كان منهجي في عمله كما أشرنا إلى ذلك من قبل، فقد اعتمد على رواد البيان من قبله، كتفسير الكشاف الذي صرّح الشيخ بنفسه اعتماده عليه وبكونه يمتاز بذوقه البياني في الأسلوب القرآني، وتطبيقه لفنون البلاغة على آيات الكتاب، ثم التنظير لها بكلام العرب واستعمالها في أفانين الكلام [1].
- كما اعتمد أيضا على البحر المحيط الذي يمتاز بتحقيقاته النحوية واللغوية وتوجيهه للقراءات القرآنية، وتفسير مفاتيح الغيب الذي امتاز بتوسعاته في العلوم الكونية والكلامية والمناظرة وقوة الاحتجاج، ولا ننسى أهم مصدر من مصادر التفسير، وهو تفسير الإمام الطبري الذي ارتكز عليه تفسير العلامة ابن باديس في كثير من جوانبه، لما فيه من ترجيحاته لأولى الأقوال المأثورة عن السلف بالصواب. ولندع العلامة يلخص لنا طريقته في تفسيره قائلا: "فقد عدنا – والحمدلله تعالى– إلى مجالس التذكير، من دروس التفسير نقتطف أزهارها، ونتجنى ثمارها، بيسر من الله تعالى وتيسير، على عادتنا في تفسير الألفاظ بأرجح معانيها اللغوية، وحمل التراكيب على أبلغ أساليبها البيانية، وربط الآيات، بوجوه المناسبات، معتمدين في ذلك صحيح المنقول، وسديد المعقول، مما جلاه أئمة السلف المتقدمون،أو غاص عليه علماء الخلف المتأخرون"[2].

4.2 من هو صاحب المنهج؟

لقد تشكلت نواة المدرسة البيانية الحديثة على يد الشيخ محمد عبده، حينما دعا إلى ضرورة فهم اللغة وأهميتها في تجديد الإحساس بالنص القرآني، وإعادة الاعتبار للبلاغة العربية ودراسة التراث القديم والإحاطة به من خلال تركيزه على جهود عبد القاهر الجرجاني. ليأتي بعده الشيخ أمين الخولي رائدا طليعيا اقتحم معركة التجديد في فهم النص القرآني، حيث قدم منظورا للقراءة الجديدة مؤسسا على أنّ النص القرآني هو النص الأدبي الأعلى بين نصوص الثقافة العربية، فأدبيته السامية هي التي جعلت العرب البلغاء يخضعون لروعته البيانية، من هذا المنطلق دعا أمين الخولي إلى دراسة منهجية تنطلق من اللغة وتنتهي إليها، ليقرّر أنّ الإعجاز الأساسي للقرآن هو الإعجاز اللغوي، وأقام منهجه على خطوات معينة يسير وفقها المفسّر، وآثر تسمية البلاغة بفن القول، وجاءت بنت الشاطئ تلميذته وزوجته لتقتحم هذا الميدان بكل جدارة، وتطبق منهج أستاذها بكل إخلاص، وتلد هذا المنهج للحياة وتخرجه في ثوب بديع في مؤلفها (التفسير البياني للقرآن الكريم)، ثم إنّ المطالع لهذا الاتجاه التفسيري والمنهج الذي سطّره صاحبه أمين الخولي، ليلحظ التشابه الكبير بين منهج العلامة ابن باديس ومنهج رواد التفسير البياني.

حينما قمت بدراسة منهج الخولي وتتبّعت الخطوات التي سطّرها للسير في هذا الاتجاه من التفسير في كتابه (مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب) واطلعت على مجالس التذكير، وجدت أنّ الشيخ ابن باديس كان مطبقا لتلك الخطوات بشكل

1- ينظر: **مجالس التذكير**، ص 49.

2- ابن باديس، **مجالس التذكير**، مرجع سبق ذكره، ص 49.

كبير، مثله مثل بنت الشاطئ؛ التي طبقته بتفاني في مؤلفاتها القيّمة، والأمر الذي جعلني شبه متأكدة بتأثر أرباب البيان بتفسير ابن باديس، هو أنني وجدت بعض الألفاظ المشتركة بينهما، سواء في تحديد المعنى أو في صياغتها من سياق محدد، فمثلا في تفسير قوله تعالى:"**وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين"[الإسراء: 82]**.يرى العلامة أن الله سبحانه وتعالى قدّم الشفاء لأنه برء من النقص على الرحمة، لأن حصول الكمال تقديم التخلية على التحلية "[1].

ونفس اللفظتين استعملهما أمين الخولي، ففي كتابه (فن القول)؛ الكتاب الرائد بين كتب التجديد في الدرس البلاغي والرؤية اللغوية، حيث أكد فيه صاحبه ضرورة التجديد من أجل الحياة، ويرى عدم تقديس الماضي، وأهمية بحثه بدقة وعمق لمعرفة الأصول وملامح التغيير، يقول: "مضيت في هذا الدرس المتأني أمسّ مسائل البلاغة مسًّا رفيقا جريئا معا، أقابل فيه القديم بالجديد، فأنقد القديم وأنفي غثه، وأضم سمينه إلى صالح الجديد"[2].

وكانت خطة فن القول عبارة عن دراسة مقارنة يقابل فيها القديم بالجديد، "وتنتهي تلك المقارنة إلى نتائج نفكر في تحقيقها، فندل على تخلية تترك من القديم ما لا خير فيه، ثم تحلية تضم إليه خير ما في الجديد" [3].

بمثل هذه العبارة الفاتنة راج المنهج التجديدي لأمين الخولي، وعرف بها والتصقت به، فقد وظّفها توظيفا جيدا، وما استطعت أن أثبت نسبتها للعلامة ابن باديس أو تأثر الخولي به، أو ابتكارها لها بنفسه، فالأول احتمال وارد وتخمين منطقي لكنه يحتاج لأدلة أقوى، والأمر الثاني حقيقة واضحة لا تستبعد من عقل ابتكاري كعقل الخولي، وفي التخمين الأول نستدل بأدلة منطقية تكمن في الأسبقية الزمنية لكلا الرجلين، فقد بدأ العلامة تفسيره قبل أن تخرج مؤلفات الخولي للحياة، وما أملك من أدلة سوى تصريحات صاحبها في هذا الكتاب- الآنف الذكر- حيث خرجت أعماله ورسائله عن البلاغة في بداية الثلاثينيات من القرن التاسع عشر، حيث وضع المعالم الكبرى لما انتهى إليه من الرأي في التغيير، بعد أن دخل للتدريس في كلية الآداب أواخر عام 1928م، بينما بدأ العلامة ابن باديس تفسيره قبله وكانت مجلة الشهاب تنشر له مختارات من تفسيره، وتأكدت من وصول المجلة لمصر آنذاك، فقد كان علماء مصر يهتمون بأوضاع الجزائر ولهم إطلاع بأعمالهم وكانت العلاقات بينهما وطيدة، "وقد تحدث الشيخ محمد عبده عن مؤلفات الجزائريين"[4] ، كما أنّ تفسير ابن باديس بحد ذاته اهتم به المصريون مطالعة وتدوينا.

ثم إنّ نفس المعنى الذي تطلقه بنت الشاطئ على هذا الاتجاه التفسيري، وجدت العلامة ابن باديس قد استخدمه بنفس المعنى أيضا، فكما وقد قلنا سابقا أنّها لا تقصد بالبيان كما يتبادر إلى الأذهان، وإنّما قصدت به الأسلوب والتعبير القرآني، فكذلك وجد هذا المعنى في مجالس التذكير في نفس السياق، فقد قدّم العلامة خلاصة ذهبية لعمله قائلا: " فقد عدنا – والحمدلله تعالى- إلى مجالس التذكير، من دروس التفسير نقتطف أزهارها، ونتجنى ثمارها، بيسر من الله تعالى وتيسير، على عادتنا في تفسير الألفاظ

1- ابن باديس، **مجالس التذكير**، مرجع سبق ذكره، ص 189.

2- أمين الخولي، **فن القول**، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1996م، ص 23.

3- المرجع نفسه، ص25.

4- ينظر: كامل سعفان، **المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم**، مكتبة الأنجلو مصرية، مصر،ط1، 1981م، ص35.

بأرجح معانيها اللغوية، وحمل التراكيب على أبلغ **أساليبها البيانية**، وربط الآيات، بوجوه المناسبات، معتمدين في ذلك صحيح المنقول، وسديد المعقول، مما جلاه أئمة السلف المتقدمون، أو غاص عليه علماء الخلف المتأخرون "[1].

إنّ هذا المعنى مطابق تماما لما قصدته بنت الشاطئ من مصطلح (التفسير البياني)، وقد جسدت هذا المفهوم في أول مؤلف لها في الدراسات القرآنية؛ والذي كان تحت عنوان (التفسير البياني للقرآن الكريم)، فبعدما تأكدت من سنة أول طبع للكتاب من دار المعارف التي قامت بنشر معظم مؤلفاتها في هذا المضمار، والذي كان بسنة: 1963م، وتحديدا قبل وفاة الخولي بثلاث سنوات صدر هذا الكتاب، وابن باديس قد سبقهم زمنيا في الانتهاء من تفسيره وفي نشره أيضا.

وخلاصة الحديث فإنني لا أشكّك في نسبة هذا المنهج للشيخ أمين الخولي، ولست أرمي من خلاله إلى اتهام أرباب البيان بالانتحال أو السطو العلمي، إنما هي تساؤلات يستوجبها التتبع الموضوعي للقضية، وحقيقة تقتضيها الأمانة العلمية، رغم عدم الانتهاء فيها لقول فصل وحقيقة مؤكدة، لكن حسبي أنني أزعجت ركود البركة، وأثرت قضية فكرية، ولعل باحثا من بعدنا سيصل لما لم نصل إليه، وليس من المنقصة أبدا أن يكون العلامة ابن باديس سباقا للمنهج، ويكون الخولي متأثرا به، فقد كانت هناك قواسم مشتركة بينهما، والخولي بحد ذاته يؤمن بفكرة قيّمة تحسب له على الصعيد العلمي، فهو ينفي فكرة الأوائل في كل تأريخ علمي، ويرى أنّه من الخطأ أن نركز على نسبة علما مخصصا لأحد العلماء، فهذا يحول دون فهم مغزاها"ويقل الانتفاع بتلك الكتب ما دمنا لا نفهمها على أنها أشخاص تاريخية متميزة"[2]، كما أننا نجد الخولي قد صرّح بتأثره بمنهج محمد عبده وتابعه في الخطوات التي سطرها في تفسير المنار، لكن استطاع الخولي أن ينظّر لهذا الاتجاه التفسيري بروح تجديدية، وكان للشيخ ابن باديس أسبقية التطبيق لذلك المنهج التفسيري، وللشيخ محمد عبده أسبقية إذكاء شعلته.

5.2 نماذج تطبيقية من التفسير البياني عند الشيخ ابن باديس:

لقد اعتنى العلاّمة بالجانب البلاغي كثيرا، وجعل منه الأداة الأكثر فعالية في شرح المعاني القرآنية، جاء في قوله تعالى: "**واخفض لهما جناح الذل من الرحمة**" [الإسراء: 24]، فبعد أن شرح الإمام أدب القول في التعامل مع الوالدين، أشار إلى لفتة بيانية مهمة، وهي أدب الفعل وبيان الحال التي يكون عليهما، فالوالدان عند ولدهما في كنفه كالفراخ الضعيفة المحتاجة للقوت والدفء والراحة، وولدهما يقوم لهما بالسعي كما يسعى الطائر لفراخه ويحيطها بحنوه وعطفه، كما يحيط الطائر فراخه، فشبه الولد في سعيه وحنوه وعطفه على والديه بالطائر في ذلك كله على فراخه، وحذف المشبه به وأشير إليه بلازمه وهو خفض الجناح، لأن الطائر هو ذو الجناح، وإنما يخفض جناحه حنوا وعطفا وحياطة لفراخه، فيكون في الكلام استعارة بالكناية.

ويرى الإمام أن إضافة الجناح إلى الذل- وهو الهون واللين- إضافة موصوف إلى صفة، أي اخفض لهما جناحك الذليل، وهذا ليفيد هونه وانكساره عند حياطتهما حتى يشعر بأنهما مخدومان للاستحقاق لا متفضل عليهما بالإحسان، وفي ذكر هذه الصورة

1- ابن باديس، **مجالس التذكير**، المرجع نفسه، ص 49.

2- أمين الخولي، **مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب**، مصر، مكتبة الأسرة، ط1، 2003م، ص 114.

التي تشاهد من الطير تذكير بليغ مرقق للقلب موجب للرحمة وتنبيه للولد على حالته التي كان عليها معهما في صغره، ليكون ذلك ابعث له على العمل وعدم رؤية عمله أمام ما قدما إليه[1].

كما يظهر اعتناؤه بالبيان القرآني حينما يلمح أن تقدير نظم الآية من قوله تعالى:**وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا**"[الإسراء: 23]، هو وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبأن تحسنوا للوالدين إحسانا، فحذف (أن تحسنوا)لوجود ما يدل عليه وهو إحسانا، وفي تنكيره إفادة للتعظيم، فهو إحسان عظيم في القول والفعل والحال، وتقول: أحسنت إليه وأحسنت به، وأحسنت به أبلغ لتضمن أحسنت معنى لطفت، ولما في الباء من معنى اللصوق، ولهذا عدى في الآية بالباء ليفيد الأمر باللطف في الإحسان والمبالغة في تمام اتصاله بهما، فلا يريان ويسمعان ولا يجدان من ولدهما إلا إحسانا، ولا يشعران في قلوبهما منه إلا بالإحسان [2].

كما اعتنى الإمام بالمفردة القرآنية، واهتم بالجانب اللفظي كثيرا، مستشفا عدة لفتات بيانية ولمحات أسلوبية تفرّد بها البيان القرآني، فعندما تعرّض لقوله تعالى:"**ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم**" [الإسراء: 31]، نجد الشيخ ابن باديس – رحمه الله- يشير إلى قضية مهمة، تتعلق بعقيدة كل مؤمن، فقد عالج الله سبحانه وتعالى هذه الرذيلة بإبطال سببها وبالتنبيه إلى عظيم قبحها وسوء عاقبتها، وذلك حينما أبطل تعالى خوفهم من الفقر بقوله تعالى:"**نحن نرزقهم وإياكم**" فأخبر أنّ رزق الجميع عليه، وأنّه متكفل برزق خلقه بما يسّر لهم من أسباب جلية أو خفية، لا فرق في ذلك بين الذكر والأنثى والكبير والصغير، كما أنّه تعالى هو يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، ومن ضلالهم أنّهم نظروا إلى قوة الكبير فحسبوه مرزوقا من نفسه فهداهم بقوله (وإياكم) إلى أنّ الكبار مرزوقون من الله بتقديره وتيسيره، ولما كان لا فرق بين الكبير والصغير في الحاجة إلى لطف الله وضمان الرزق من الله فلا وجه لخوف الفقر من وجود الأولاد وكثرتهم، لأنّه ما من واحد منهم إلاّ ورزقه مضمون من خالقه جلّ جلاله[3].

كما ويظهر المنهج البياني جليا في تفسير المعوذتين، ففي معرض تفسيره لسورة النّاس يكتشف لمحات أسلوبية ويستشف الفروق الدلالية بين ألفاظ قد يظن أنّها من المترادفات، وقد اعتمد رواد التفسير البياني على قضية المفردة القرآنية، وأولوها عناية لا نظير لها، فشرف العلم تابع لشرف مصدره وما يتعلق به، قال الراغب الأصفهاني بهذا الصدد؛ مبيّنا فضل وأهمية دراسة هذا الجانب، أن أول ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن؛ العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية؛ تدقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن، في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه[4].

ولا شك في ذلك، فالخطاب القرآني عبارة عن كلمات مركبة تعبّر عن معاني متعددة، مشكلة لحمة واحدة ونسيج متناسق، "فألفاظ القرآن هي لبّ كلام العرب وزبدته، وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم" [5].وقد اهتم العلامة ابن باديس بالجانب اللفظي في منهجه، وكان رائدا في مجاله

1- ابن باديس، **مجالس التذكير**، مرجع سبق ذكره، ص 104-105.
2- ابن باديس، **مجالس التذكير**، مرجع سبق ذكره، ص 101.
3- المرجع نفسه، ص 125- 126.
4- الأصفهاني الراغب:**المفردات**، تح: محمد سيد كيلاني، (د ت ط)، ص 6.
5- المصدر نفسه، ص 6.

دون منازع، فلقد استشف الفروق الجوهرية الدقيقة بين ألفاظ قد يظن أنها من المترادفات، ومعناها يعدّ من المتشابهات، فمثلا:(ربّ الناس)و(مالك الناس)و(إله الناس) أوضح معانيها بقوله:

– **رب الناس**: هو مربيهم ومعطيهم في كل مرتبة من مراتب الوجود، ما يحتاجون إليه لحفظها، وهاديهم لاستعمال ما منّ به عليهم فيما ينفعهم، فقد جاء نظير هذا المعنى في قوله تعالى:"**قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى**" [طه: 50]، وأصل المفردة من ربه يربه ربا، إذا قام على إنشائه وتعاهده في جميع أطواره إلى التمام والكمال، ولفظه لفظ المصدر، ولكن معناه معنى اسم الفاعل كالعدل يراد به العادل.

– **ومالك النّاس**: هو الذي يملك أمر موتهم وحياتهم، ويشرّع لهم من الدّين ومن الأحكام ما يوافق حياتهم الدنيوية والأخروية.

– **وإله الناس**: هو الذي يدينون له بالعبادة والعبودية.

ويستشف العلامة لمحة أسلوبية في الآيات، إذ بلاغة الترتيب تظهر جلية عند استعراض أطوار الوجود الإنساني، فالأول طور التربية والإعداد، وهما من مظاهر الربوبية، والثاني: طور القوة والتدبير وهما من مظاهر الملك، والثالث: طور الكمال والقيام بوظائف العبودية، وهو من مظاهر الألوهية، والمستعاذ منه، تارة يوسوس للإنسان بما يفسد عليه صلته بربه، وتارة بما يفسد عليه تدبيره وما شرع له لمنفعته وصلاحه، وتارة بما يفسد عليه عبوديته له وهي أشرف علائقه به وصلاته، وجماع ذلك أن يبعده عن الله بالوسوسة بواحدة من هذه أو بكلها أو بما يتفرع عنها مما تضمنته الآيات المبيّنة لأفعال أصل هذه القوة الموسوسة.

ثم إنّ الربّ رب النّاس وغيرهم، بل ربّ العالمين، وإنّما خصّ النّاس بالذكر لأنّهم هم هدفه ومرمى وسوسته، ولأنّهم هم المأمورون بالاستعاذة منه، ولأنّ عالم التكليف أشرف،فإليهم يوجه الخطاب وإليهم يساق التحذير، وهذه الوسوسة نتيجة للعداوة بين أصليهما،فأمر الله بالاستعاذة منها هو تسليح إلهي لبني آدم لتثبيت سنة التعمير التي هي حكمة الله من وجودهم.

كما ويستشف نكتة أخرى في تخصيص النّاس بالذكر دون بقية أفراد المربوبين، وهي أنّهم هم الذين ينطبق عليهم ناموس الهداية والضلال، وقد ضلوا بالفعل في ربوبية الله وفي ألوهيته.. ضلوا في الربوبية باتخاذ المشرعين ليشرعوا لهم من الدّين ما لم يأذن به الله ويصدوهم بذلك عما شرّع الله، وضلوا في الألوهية بعبادة غير الله بما لا يعبد به أحد غيره كالدعاء.

واختير لفظ النّاس من بين الألفاظ المشاركة له في الدلالة كالبشر والبرية لأنّه ينوس ويضطرب وينساق وهي صفات يلزمها التوجه ويسهل التوجيه فلا غنى لصاحبها عن توفيق الله للوجهة الصالحة والتسديد فيها ما دام لا يملك لنفسه ذلك وما دام محاسبا عليه وما دامت هناك قوة مسلطة تنزع به إلى الشر، ففي تخصص الناس بالذكر تنبيه إلى أنّهم أحوج المربوبين إلى تأييد الله وأحقهم بطلب ذلك منه، وقد أرشدهم إلى ذلك وله الحمد[1].

وكثيرا ما كان يحدّد الفروق الدلالية بين ما يظن أنّها من المترادفات، مثال ذلك تفريقه بين معنى لفظة الأوبة والتوبة، فالتوبة كما هو معروف، هي الرجوع عن الذنب ولا يكون إلاّ بالإقلاع عنه، واعتبر فيها الشرع الندم على ما فات والعزوم على عدم العود وتدارك ما يمكن تداركه، أما الأوابون من قوله تعالى:"**فإنه كان للأوابين غفورا**" [الإسراء: 25] فهم كثيرو الرجوع إلى الله تعالى،

1– ابن باديس، **مجالس التذكير**، مرجع سبق ذكره، ص 415–416.

فالأوبة في كلام العرب هي الرجوع، فيظهر أنّ الأوبة أعم من التوبة، فتشمل من رجع إلى ربّه تائبا من ذنبه ومن رجع إليه يسأله ويتضرع إليه أن يرزقه التوبة من الذنب [1].

وبعد هذا نستخلص أن الاعتناء بالمفردة القرآنية كان أيضا قاسما مشتركا بين منهج العلامة ابن باديس وأرباب التفسير البياني، فهذه بنت الشاطئ تفصح عن تأثرها بالجرجاني في قضية إعجاز القرآن من خلال مفرداته، قائلة:"وهذه اللمحة الدقيقة، هي محور فكرة عبد القاهر الجرجاني في النظم، ولعلها أيضا تلتقي في جانب من فكرتنا في الإعجاز البياني، ثم نختلف بعد ذلك؛ في إدراك مغزاها، ولمح أبعادها، وطريق الاحتجاج لها، والاستدلال عليها" [2].

وكان للنحو الحظ الأوفر من دراسته، وعليه اعتماده في كثير من الأحايين، وما كان استقراءً جافا للقواعد النحوية بل كان ربطا لها بالمعنى الخفي، والدلالة الحقيقية المتضمنة فيها، وهو في ذلك يسير وفق درب الجرجاني، الذي أكّد ضرورة تعانق النحو والبلاغة في ترسية المعاني، مؤسسا بهما معا؛ نظرية النظم في القرآن الكريم، قائلا: " واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت فلا تخل بشيء منها " [3].

ففي قوله تعالى:**"وننزل من القرآن ما هوشفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا"[الإسراء: 82]** يتعرض الشيخ لشرح التركيب ويرى أنّ جملة (ننزل) قرنت بالواو مع أنّ ما قبلها إنشائية، وذلك على وجهين: الأول أن تكون معطوفة على جاء الحق، أي (وقل ننزل)، فعطفت الخبرية على الخبرية التي لها محل وهو المفعولية بالقول، والوجه الثاني: أن يكون الواو للاستئناف، وهي في الحقيقة صلة في الكلام لتقويته، وقرنت جملة (لا يزيد) بالواو، لأنها معطوفة على جملة الصلة، وعبّر بالمضارع في (ننزل ويزيد) قصدا لمعنى التجدد، لأن الآيات كانت تنزل شيئا فشيئا، وتنكير (شفاء ورحمة) للتعظيم، وقدم (الشفاء) لأنّه برء من النقص، على (الرحمة) لأنّها حصول الكمال تقديم التخلية على التحلية، وآيات القرآن سبب في حصول الشفاء فجعلت هي شفاء على طريق المبالغة، تنبيها على تحقق حصوله بها[4].

وكثيرا ما كان يربط العلامة التفسير بالواقع ويسقط قصص الأمم الغابرة على الحياة الاجتماعية المعيشة، ففي قصة ملكة سبأ يرى أنّ فيها دروسا تتفجر منه ينابيع العظة والعبرة، وإرشادا إلى ما تقوم به الأمم، ويشير إلى عامل الشورى ودوره في بناء أمة قوية، ثم يندد الباحثين بعمل بحث خاص موسوم بالانتخاب في الإسلام، ويسترشد بالقرآن في هذا الباب ليجد ضالته.

1- المرجع نفسه، ص 110.

2- عبد الرحمن: عائشة ،**الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق**، دار المعارف، مصر،1919م، ص 140.

3- عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة- مصر، ط5، 2004م، ص 81.

4- ابن باديس، **مجالس التذكير**، مرجع سبق ذكره، ص 189.

3. خاتمة:

توصلت الدراسة إلى أن المنهج البياني ظهرت ملامحه في مجالس التذكير، وقد طبق (ابن باديس)خطوات التفسير البياني، كما سطرها صاحب المنهج في العصر الحديث (أمين الخولي)، كما وقد انتهى البحث إلى أنّ العلامة ابن باديس قد استخدم نفس المدلول للبيان كما أطلقته (عائشة عبد الرحمن) على هذا الاتجاه التفسيري، واستخلصنا أنّ التفسير البياني ليس هو التفسير اللغوي أو البلاغي، وليس كما يفهم منه أنه يعتمد على علم البيان فقط، بل هو مجموعة أسس منهجية وخطوات عملية تعتمد على استخدام علوم القرآن والاستعانة بكل مستويات اللغة، لاكتشاف كنه الآيات القرآنية بدءًا بالمفردة القرآنية وصولا إلى المستوى التركيبي الإجمالي.

وختاما لا ندعي أننا أحطنا بالموضوع جملة وتفصيلا، وبلغنا المقصد دقة وشمولا، إنما حسبنا أننا أثرنا قضايا علمية هامة، ولعل باحثا من بعدنا يصل إلى ما لم نصل فيه إلى نتيجة حتمية قطعية، ويكتشف صلة أرباب البيان بمجالس التذكير ، بأدلة أكثر مما قدمنا، فهذا السفر الجليل من تراثنا يحتاج لعناية أكثر ودراسات أعمق.

4. قائمة المراجع:

1 -ابن باديس، **البصائر**، س 1، ع: 16، 14 أفريل 1936، ص 1.
2 -ابن باديس: **مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير**، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، ط1، قسنطينة – الجزائر، 1402هـ/1982م.
3 -**آثار الإمام عبد الحميد بن باديس**، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، وزارة المجاهدين، ط1، الجزائر، 2005 م، مج 1، 480، 49-101-104-105-125-126-189-305-399-401-432.
4 -الأصفهاني الراغب:**المفردات**، تح: محمد سيد كيلاني، (د ت ط)، ص6.
5 -أمين الخولي، **فن القول**، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1996م، ص 23-25.
6 -أمين الخولي، **مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب**، مكتبة الأسرة، ط1، مصر،2003م، ص 114.
7 -الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني: **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن**، تح: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف- بمصر،(د ت ط)، ص28.
8 -الزبير رحال: **الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية**، دار الهدى، ط1، عين مليلة – الجزائر، 2009 م، ص23.
9 -عائشة عبد الرحمن: **التفسير البياني للقرآن الكريم**، دار المعارف، ط6، القاهرة- مصر، ص 17-18.
10 - عائشة عبد الرحمن: **الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق**، دار المعارف، مصر، 1919م، ص 140.
11 - عبد العزيز فيلالي: **التفسير عند الإمام عبد الحميد بن باديس واحتفال الأمة به**، دار الهدى، ط1، عين مليلة – الجزائر2017م، ص 74.
12 - عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، ط5، القاهرة- مصر، 2004م، ص 81.
13 - فاضل السامرائي:**على طريق التفسير البياني**، مؤسسة النشر العلمي، ط1، جامعة الشارقة، 1423هـ/ 2002 م، ص 7.
14 - كامل سعفان، **المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم**، مكتبة الأنجلو مصرية، ط1، مصر،1981م، ص 35.